بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة :18/03/2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

سلسلة تربية الأبناء

الخطبة العاشرة: قواعد تربوية ج (4)

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله، فنحن اليوم في دار ابتلاء فالسعيد من وعظ بغيره، والسعيد من ملأ حياته طاعة، وغير السعيد من ذهب اتجاه المعصية،أو انشغل عن الطاعات بالأهواء والملذات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:6].

- قال سيدنا علي رضي الله عنه: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾ :أي علموا أنفسكم وأهليكم الخير.
- وقال مقاتل: هي أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**))[1].

- وقال صلى الله عليه وسلم: ((مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ))[2].

هذه هي الخطبة العاشرة في سلسلة تربية الأبناء, وسيكون عنوانها:

قواعد تربوية (4)

تقوم التربية الناجحة على قواعد وأسسٍ تربوية مهمة جداً, والمأمول من كلّ مربٍ مراعاتُها, فإن لم تُرْعَ القواعد نشأ البنيان على غير استقرار واتزان, وقد عرضنا لخمس قواعد فيما مضى:

- أولها: رفع الحرج.
- ثانيها: قلة التكاليف.
- ثالثها: التدرج في التربية.
- رابعها: مراعاة الفروق الفردية.
- خامسها: القدوة الحسنة.

وتعرض خطبة اليوم لقاعدتين جديدتين, وهما:

القاعدة السادسة: الصحبة الصالحة

أيها الإخوة: الحق أقول لكم:

- ✓ إن كلمة السر في صلاح الصالحين, وفي فساد الفاسدين: الصحبة.
- ✓ وإن واسطة العقد – بعد التوفيق الإلهي– في فلاح الفالحين, وفي خذلان المخذولين: الصحبة.
- ✓ وإن قطب الرحى في دائرة التربية تقوم بعد العلاقات الأسرية على علاقات الصداقة والصحبة والرفقة.
- ✓ وإنك مهما رغبت أن تكون تربية ابنك عالية فَأَحِطْهُ بأصحابٍ ذوِي تربيةٍ عالية, لعل قلبه يعلقُ بأحدهم فيعملُ بعملهم.

---

[1]() متفق عليه (البخاري 6618, مسلم 203), عن معقل بن يسار ﷺ.

[2]() رواه الترمذي برقم: 1875, عن عمرو بن سعيد بن العاص.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))**[1].

ذكروا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29)﴾, [سورة الفرقان], أن الظالم هنا عقبةُ بن أبي معيط, وخليله أبيّ بن خلف, ذلك أن عقبة دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى ضيافة, فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل.

وعلم بذلك أبي بن خلف, فعاتبه وقال له: صبأتَ؟ فقال: لا والله, ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي, فاستحييت منه فشهدت له.

فقال: لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتتفل في وجهه, فأراد أن يفعل فمنعه الله[2].

أيها الإخوة: يقول علماء النفس: إن الصداقة والصحبة تساعد على النمو النفسي والحركي والاجتماعي, كما إنها تعمل على تنمية الشخصية ومهارات التواصل.

فالصحبة تبعد عن العزلة التي ربما أودت إلى ضعف الشخصية, وتتغلب الشخصية بالصحبة على مرض الخجل, والجبن, والخوف الاجتماعي.

ويقول أهل التربية الروحية: إن الصديق الصالح خيرٌ من الوحدة, والوحدةُ خيرٌ من صديق السوء.

وأفضل الأصحاب عند أهل التربية من جمع أربعاً: من كان:

- صالحاً غير فاسق.
- عاقلاً غير أحمق.
- حسن الخلق غير فاحش.
- موافقاً غير مخالف.

---

[1] () رواه البخاري, برقم: 5108, ومسلم, برقم: 4762, عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

[2] () ينظر: الدر المنثور.

فأفضل الأصحاب من كان صالحاً, عاقلاً, حسن الخلق, موافقاً, وشرهم: الفاسقُ, الأحمقُ, سيء الأخلاق, المخالفُ.

وخيرُ أصحاب ابنك –على الإطلاق– أنتَ, وخير صاحبات ابنتك –بلا خلاف– أنتِ.

وهاكم خمسةَ أمورٍ تعينك على مصاحبة ابنِك أو ابنتِك:

1- تحدث معهم فيما يهمهم ويحبونه, واحكِ لهم ذكرياتِ طفولتك ومراهقتك وشبابك.
2- اصحبهم إلى المسجد أو إلى نزهة, أو إلى زيارة معارفك وأصدقاؤك.
3- شارك أبناءك لعبهم وحماسهم.
4- ادعُ أصدقاءهم لتناول الغداء أو العشاء, وأظهر سرورك بقدومهم والتعرف عليهم.
5- خفف اللوم والنقد ما استطعت.

القاعدة السابعة: التوازن والشمول في التربية

وأعني بها أن التربية الصحيحة هي التربية الشاملة التي تراعي الروح والجسد, العقل والقلب, الدنيا والآخرة.

هي التي تنمي وتبني شخصية الابن في جميع جوانبها الدينية والعقلية والجسمية والاجتماعية والنفسية.

فبعض الآباء يجهد أن يتفوقَ أولادُه في الدراسة, لكنه لا يعير للجانب الديني عندهم اهتماماً, وبعضهم يهتم بأن يكون أبناؤه مرهفي الحس والشعور, لكنه لا يراعي الحالة الصحية والقوة البدنية لهم.

وتتعبُ بعض الأمهات نفسَها في تغذية الابن تغذيةً رفيعة, لكنها تنسى أن تربيه على الآدب الرفيعة.

والتربية الناجحة إنما هي التربية الشاملة المتوازنة.

والتربية الناجحة هي التي تدرب الابن على إحسان علاقاته الثلاث: مع خالقه, ومع نفسه, ومع الناس.

- ✓ مع خالقه بترك المحرمات وفعل الواجبات والمستحبات, بمحبة الله والخوف منه والرجاء.
- ✓ ومع نفسه بالتحلي بالفضائل, والتخلي عن الرزائل.
- ✓ ومع الناس بجلب النفع لهم, ودفع الأذى عنهم.

بلغَ النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من أصحابه عزم على أن يصوم فلا يفطر, وأن آخر سيقوم الليل فلا ينام, وأن ثالثاً سيعتزل النساء فلا يتزوج, فمنعهم وقال: ((... **لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**))[1].

وأستأذنه صلى الله عليه وسلم واحدٌ من أصحابه بالتبتل والانقطاع عن النساء والناس للتفرغ للعبادة, فلم يأذن له[2].

وكان صلى الله عليه وسلم المربي يعلّم أصحابه أخطرَ قضايا الوجود -توحيد الله تعالى-, ويعلمهم أبسطَ أمورِ الحياة -آداب الطعام والشراب-.

وفي حين أن النبي صلى الله عليه وسلم أدبَ أصحابه على صلة الأرحام, وبر الوالدين, والإحسان إلى الخلق, أدبهم على التفرغ للعبادة, ودعاهم إلى الاعتكاف في العشر الأخير من رمضان وغيرِه.

وهكذا تجد التربية الصحيحة تربيةً شاملة متوازنة, لا تطغى فيها روح على جسد, ولا تستولي فيها مادةٌ على عقل, ولا تستأثر فيها دنيا على دين, بل عمادها: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) ﴾, [البقرة: 201].

الصحبة الصالحة هي القاعدة التربوية السادسة, والشمول والتوازن هي القاعدة السابعة.

والحمد لله رب العالمين

---

[1]() رواه البخاري, برقم: 4675, عن أنس بن مالك ﷺ.

[2]() رواه البخاري ومسلم, عن عثمان بن مظعون ﷺ.